بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان (٤).

المحور الثاني حول هذه الآية المباركة هو حول ظاهرة التكرار في آيات القرآن الكريم، حيث إن هذه الآية المباركة تعد من مصاديق هذه الظاهرة، فقد تكررت في الآية الرابعة من سورة لقمان، وفي الآية الثالثة من سورة النمل، ولهذه الظاهرة عدة أمثلة، منها:

١ -قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لقمان (٥)، حيث تكررت في سورة لقمان وفي سورة البقرة.

٢ -ومنها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان (١٠)، حيث تكررت في سورة لقمان وفي سورة النحل.

٣ -ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان (١٠)، حيث تكررت في سورة لقمان وفي سورة قاف مع تغيير كريم إلى بهيج.

٤ -ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان (١٢)، حيث تكررت في سورة لقمان وفي سورة النمل مع إبدال كلمة حميد إلى كريم.

٥ -ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان (١٥)، حيث تكررت في سورة لقمان وفي سورة العنكبوت بتغيير (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما)

وعدة آيات من هذا القبيل تكررت في سور القرآن الكريم، وقد تميزت سورة لقمان بهذا النحو من التكرار أكثر من غيرها، فإن الآيات المتكررة في سورة لقمان بالنسبة إلى غيرها من السور ثمانية وعشرون آية

تكررت في سورة لقمان وفي غيرها من سور القرآن الكريم.

وهذه الظاهرة أصبحت محل بحث لدى كثير من الباحثين والمحققين في مجال تفسير القرآن الكريم، وقد اعتبرها بعض غير المسلمين مثار شبهة واردة على القرآن الكريم، وتقرير هذه الشبهة بعدة وجوه:

الوجه الأول: إن التكرار في القرآن الكريم علامة على بشرية القرآن وأنه صياغة بشرية وليس صياغة سماوية، وذلك لأن منشأ التكرار يدور بين احتمالات أربعة وكلها ممتنعة على الله -بحسب زعم المسلمين-:

فإما أن يكون منشأ التكرار هو الجهل والغفلة عن وقوع التكرار، وإما للعجز عن الإتيان بمعنى جديد أو بصياغة جديدة للمعنى نفسه، أو للعبث من دون أي هدف منظور فيه وهو لا يصدر من الفاعل الحكيم، أو أن الغرض من التكرار هو التأكيد وهو لغو لا حاجة له، إذ بإمكان النبي -صلى الله عليه وآله- من خلال سنته أن يؤكد المضمون القرآني من دون حاجة إلى تكراره في عدة سور، ولو سلمنا بأن التكرار بغرض التأكيد فإن هذا الهدف يتحقق بتكرار الآية مرة أو مرتين، وأما تكرار بعض الآيات أكثر من ثلاث مرات كما في قول عز وجل:﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن (٣١)، التي تكررت في سورة الرحمن احدى وثلاثين مرة، أو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ المرسلات (١٥)، التي تكررت في سورة المرسلات عشر مرات، ونحوها من الآيات القرآنية التي تكررت أكثر من ثلاث مرات، فإن التأكيد بهذا المقدار من العدد يعد لغواً واللغو بعيد عن ساحة الباري عز وجل، فإذا لم يكن التكرار منسجماً مع الله فهذه علامة على أن التكرار نهج بشري وكاشف عن كون القرآن صياغة بشرية وليس صياغة إلهية.

الوجه الثاني: إن القرآن محكي وحاكي، والقرآن المحكي هو الذي يكون في أم الكتاب والذي تحدثت عنه الآية المباركة: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف (٤)، والقرآن الحاكي هو القرآن اللفظي الذي جرى على لسان النبي -صلى الله عليه وآله- والذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ الشعراء (١٩٣-١٩٤).

وعليه نقول: التكرار إما أن يكون في القرآن المحكي أو القرآن الحاكي، فإن كان في المحكي فلا ينسجم ذلك مع الأوصاف التي وُصف القرآن المحكي بها، من جهة كونه عليّاً لا تصل إليه الأفهام ولا تناله الأذهان، فإن التكرار ينسجم مع كونه في متناول الأفهام والأذهان وهذا خلف ما ذكره الله تعالى كوصف للقرآن المحكي.

وإما أن يكون التكرار في القرآن الحاكي فهذا لازمه عدم التطابق بين الحاكي والمحكي، بل إن وجود التكرار في خصوص الحاكي دون المحكي خلف الحكاية.

الوجه الثالث: إن التكرار في آيات القرآن موجب للتهافت بين مضامين آياته، فإن الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء (٨٢)، والاختلاف الذي عنته الآية الشريفة ليس ملحوظاً بنحو الموضوعية بل هو كناية عن الخلل، فكأنه قال: (لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه خللاً كثيراً)، والاختلاف مصداق من مصاديق الخلل، فإن الخلل كما أنه يحصل بالاختلاف قد يحصل بالزيادة أو النقيصة وقد يحصل بأنحاء أخرى، والتكرار في آيات القرآن يعد نحواً من الزيادة وهي خلل لا ينسجم مع نفي الاختلاف الذي ذكرته الآية.

هذه هي وجوه تقرير هذه الشبهة، وأما الجواب عنها فهو يبتني على مقدمتين:

المقدمة الأولى: أن هنالك فرقاً بين مرحلة الإحكام ومرحلة التفصيل حيث وصف القرآن الكريم نفسه بأنه مر بمرحلتين الإحكام والتفصيل، قال تبارك وتعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود (١)، وقال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فصّلت (٣)، فهو في المرحلة الأولى -أي مرحلة الإحكام- كان عبارة عن حقائق ملكوتية أودعها الله تعالى في اللوح المحفوظ، فلم يكن القرآن الكريم في تلك المرحلة متشكلا بألفاظ ولغة معينة، وهو الذي أشارت له الآية المباركة: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف (٤).

والقرآن في هذا الوعاء لا تكرار فيه؛ لأنه لا لغة له ولا ألفاظ، وإنما الموجود في هذا الوعاء الحقائق التي يمكن أن تتجلى بالتكرار، فمثلاً إذا فُرض أن التكرار في بعض آيات القرآن الكريم كان الغرض منه إشباع حاجة الإنسان للمزيد من العظة والعبرة في مقاومة القوى الشهوية المتمكنة من شخصية الإنسان، فهذه الحقيقة التي نشأت من التكرار – وهي حاجة الإنسان إلى إشباع اتعاظه واعتباره- هي الموجودة في القرآن الكريم في مرحلة أم الكتاب وليس نفس التكرار، فالحقائق المتجلية بالتكرار هي التي أودعت في القرآن في وعاء مرحلة الإحكام.

وأما القرآن في مرحلة التفصيل -وهي مرحلة البيان بواسطة اللغة العربية وخواصها، وتقسيم القرآن إلى سور وآيات، وتصنيف آياته إلى مكية ومدنية بحسب مكان نزولها – فهو الذي حصل التكرار في آياته.

والنقطة الجديرة بالالتفات والتأمل أن التكرار قد حصل -غالبا- في ميدان العلاقة الوجدانية بين القرآن والنفس البشرية، بحيث لو قرأ الإنسان القرآن لوجد بصمات آياته على نفسه وعلى استقراره الروحي، والغرض من ذلك تحقيق الأثر الأكبر من التأثير الوجداني على النفس البشرية، وهذا الأثر الأكبر أشارت له الآية المباركة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المائدة (٨٣) وأحد أساليب تحقيقه هو أسلوب التكرار.

بخلاف ميدان التقنين والتشريع فإن القرآن يشتمل -بحسب ما أحصينا-على تسعمائة آية لم نجد فيها ظاهرة التكرار -بالمعنى الذي ذكرناه- مما ينبه عن عدم انسجامه مع هذا الميدان، ويرشد إلى أن للتكرار هدفاً بيانياً آخر يرتبط بالميادين الأخرى.

المقدمة الثانية: إن التكرار في القرآن على نحوين:

فالأول هو تكرار المعنى وذلك من قبيل تكرار قصص الأنبياء حيث كرر القرآن قصة نبي الله آدم ونبي الله موسى -عليهما السلام- وغيرهما، والملاحظ هنا أن لهذا النحو من التكرار عدة أهداف:

الهدف الفني:

وهو بيان إعجاز القرآن، فإن القرآن عندما يتصدى لبيان قصة واحدة بأساليب متعددة مع كون كل أسلوب منسجماً مع سياق معين يختلف عن سياق عرض القصة في موضع آخر، بحيث لا يوجب استماع القصة الواحدة بشكل متكرر الملل والسأم.

الهدف العلمي:

وهو بيان مواطن التحريف في عرض قصص الأنبياء في الكتب السابقة -حيث أنها تعرضت لقصص الأنبياء أيضاً-، فتعرض القرآن الكريم لقصص الأنبياء بأساليب مختلفة لبيان مواطن التشويه والتحريف في تلك القصص، ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ المائدة (٤٨)، فهو من جهة يُصدق مواطن الاتفاق في الكتب السابقة، ومن جهة أخرى هو ميزان يبين مواطن التحريف في تلك الكتب.

الهدف التربوي:

وهو اتخاذ العظة والعبرة بقراءة تاريخ البشرية منذ نبوة آدم -عليه السلام-إلى خاتم النبيين -صلى الله

عليه وآله- واستنطاق الأحداث التي مرت في تلك الأزمنة من أجل ربط الماضي بالحاضر تمهيداً للمستقبل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف (١١١).

الهدف الإعلامي:

وهو معرفة السنن الاجتماعية التي تحكم مسيرة تاريخ الإنسان، ومقدار تأثيرها على صعوده وهبوطه، فالله تبارك وتعالى في ضمن تعرضه لقصة معينة تجده يتعرض لسنة اجتماعية، قال تبارك وتعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ آل عمران (١٣٧).

والملاحظ أن القرآن حينما يستعرض قصة من قصص الأنبياء فإنه يشير إلى سنة من السنن الاجتماعية التي لها أثر على حياة الإنسان ومسيرته ليتخذ منها الإنسان قراءة موضوعية هادفة للتاريخ البشري، فمثلا في سورة يوسف نجد القرآن تعرض لهذه السنة الاقتصادية وهي إعداد الثروة وادخارها للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يوسف (٤٧-٤٩).

والحمد لله رب العالمين.